مجلة النوازل الفقهية والقانونية ـــ رقم ISSN 2602 – 7100
المجلد07 ـ العدد 02 ـ السنة 2023 ص 431- 444

مالكية المغرب الإسلامي المجاورون بمكة والمدينة (تراثهم العلمي ودورهم الحضاري)

The Malikis of the islamic Maghreb neighboring Mecca and Medina (their scientific heritage and civilizational role)

د.بعلي زوبير *

المدرسة العليا للأساتذة ببوسعادة (الجزائر)، zoubirhistory@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023 /02/19 تاريخ القبول: 2023 /03/13 تاريخ النشر: 2023/06/10

الملخص:

لم يقتصر دور مالكية بلاد المغرب الإسلامي الحضاري على حواضر بلاد المغرب الإسلامي فحسب كقرطبة وتلمسان وبجاية وفاس، بل تعداه إلى بلاد المشرق ومن بينها بلد الحجاز الذي كانوا يقصدونه لآداء مناسك الحج ولأغراض علمية كاستجازة علمائه، ولكن ظاهرة أخرى كانت كتب التراجم ككتاب العقد الثمين قد نقلتها إلينا وهو ارتحال علماء المغرب الإسلامي للمجاورة بمكة كالفقيه المالكي المقرئ أبي عبد الله القرطبي(ت631هـ)والذي تولى الإمامة بالحرم النبوي واستجازه أهلها وأبي الحسن العبدري الأندلسي(ت535هـ) المجاور بمكة دهرا صاحب كتاب "تجريد الصحاح" والذي كان معتمد ابن الأثير في كتابه"جامع الأصول" وأبي عثمان الحكيم الزواوي المليانى المجاور بمكة والذي كان عالما بصناعة الطب وبلغ النهاية في معرفته كما يتناقله أهل مكة.

ونحاول في هذا المقال إماطة اللثام ولو قليلا عن ظاهرة المجاورة بمكة ودوافعها وكذا تأثير مالكية المغرب الإسلامي المجاورين بمكة مبرزين جانبا من تراثهم العلمي ودورهم الحضاري ويبقى هذا جهد المقّل وعثرة أرجو أن تُقابل بالصفح الجميل.

الكلمات المفتاحية: علماء المالكية؛ المجاورة؛ بلاد المغرب الإسلامي؛ بلاد الحجاز؛ مكّة؛ المدينة؛ التراث العلمي؛ الدور الحضاري.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The malikis' civilizational role in the Islamic Maghreb was not, indeed, limited to the urban centers of the region (Cordoba, Tlemcen, Bejaia, Fes...) It had expanded to the east.It had expanded to the east reaching Elhidjaz which was a destination for pelgrimage and for other, mainly, scientific purposes. Neighboring was, as "Al-Iqd Al-Thamin" book states, another interesting purpose and this what The maliki theologian and jurist Abi Abdi-Llah El-Qutubi did. He occupied the position of Imam at Al-Masjid Al-Nabawi (The mosque of the prophet). Another scholar: Abi Al-Hassan Al-Abdari Al-Andaloussi(d 536) had neighbored Mecca for a long time, the author of "Tajrid Al-Sihah" which was a reference to Ibn Al- Athir's book "Jamia Al-Ossol" and Abi Othman Al-Hakim Al-Meliani who was a prominent doctor and a highly-educated in the field of medicine as stated by the residents of Mecca themselves.

In this article.We will be trying to shed some light on this phenomenon (Neighboring) to Mecca and its major motifs. In addition to the influence of the Malikis of the Islamic Maghreb, their scientific heritage and their civilizational role as well. We hope this imperfect work from our side will be tolerated.

Keywords: Malikis Scholars; Neighboring; The Islamic Maghreb; El-Hijaz; Mecca; Al-Madina; Scientific Heritage; Civilizational role.

مقدمة:

تحتل مكة والمدينة مكانة عظيمة في قلوب المسلمين، كيف لا؟ وهما مع المسجد الأقصى المساجد التي لا تشدّ الرحال إلّا إليها، والآيات والأحاديث في فضلها كثيرة، والعبادات المتعلّقة بها كثيرة لعل أعظمحا الحج الأكبر إلى مكّة، ولذا شدّ المسلمون إليها الرحال من كل فج عميق من أقطار وحواضر العالم الإسلامي على مر العصور ولا يزالون إلى اليوم.

وكان مالكية المغرب الإسلامي كغيرهم من علماء المشرق يشدّون الرحال إلى مكّة والمدينة وبيت المقدس، فيقضون مناسكهم، ولأنّ الشقّة بعيدة والسفر طويل يستنزف الجهد والمال، والطريق آمن مرة ومرة مخوف كان علماء المالكية يستغلّون فرصة الحج أيّما استغلال في طلب العلم واستجازة الشيوخ بالحواضر الإسلامية التي يمرون بها حتى وصولهم إلى بلاد الحجاز مهبط الوحي ومحج الفقهاء والعلماء.

ولذ كانت كتب أدب الرحلة عامة والرحلات الحجازية خاصة ملئى بصنوف العلم من فقه وحديث ونحو وبلاغة وتصوف ومنطق وكلام وطب وغيرها كرحلة ابن جبير الأندلسي ونزهة المشتاق لابن بطوطة اللواتي الطنجي ورحلة ماء الموائد للعياشي، ورحلة ابن رشيد السبتي التي سماها:"ملء العيبة، فيما جمع بطول الغيبة، في الرحلة إلى مكّة وطيبة"في ست مجلّدات تحوي جملة من الفنون، وتصف لقاء الشيوخ واستجازة بعضهم لبعض ممّا نتج عنه تلاقح وتمحيص للأفكار والمسائل فاتّسعت الرواية، وقُيد السماع وانتشر العلم بين حواضر العالم الإسلامي.

ولكن ظاهرة عرف بها علماء العالم الإسلامي عامة ومالكية المغرب الإسلامي خاصة ألا وهي ظاهرة مجاورة الحرمين المكّي والمدني، فمنهم من كان يجاور مدّة ثم يسافر أو يعود لبلده ليعود للمجاورة مرة أخرى كما فعل محمد بن أحمد بن جبير الكناني الغرناطي صاحب الرحلة، ومنهم من كان يجاور إلى وفاته مثل محمد بن وليد بن عقيل العكّي(توفي قبل 452هـ)من أهل مالقة، ومحمد بن خميس القرطبي، ظاهرة رخرت بها كتب الطبقات والتراجم.

هذه الظاهرة التي وإن كانت تَدرس من وجهة نظر علم الاجتماع والتّاريخ كظاهرة اجتماعية لها تأثيراتها وتفاعلاتها فإنّها قبل ذلك في حقيقتها عبادة ومطلب شرعي دعت إليها نصوص الشرع وحثّت عليها من آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة.

ونحن إذ ندرس المجاورة فإنّنا نحاول معرفة ماهيتها، وأسبابها، وتأثيراتها العلمية والاجتماعية والحضارية، لنعرف دور علماء المغرب الإسلامي المجاورين العلمي والحضاري، فالمجاورة هي في ظاهرها عبادة ملازمة سكنى الحرم، ولكنّها في حقيقتها وبالمفهوم الواسع للعبادة تتناول كافّة الجوانب الحضارية كنشر العلم بدراسته وتدريسه، والعمل الاجتماعي بشتى أنواعه.

ظاهرة نحاول إماطة اللّثام عن تاريخها وتأثيراتها الاجتماعية والحضارية مبرزين جانبا ولو ضئيلا حول دور مالكية المغرب الإسلامي المجاورين العلمي والحضاري، هذا ويبقى هذا جهد الُقّل وعثرة أرجو أن تقابل بالصفح الجميل.

1. أولا: المجاورة: ماهيتها وحكمها وأنواعها

1.1 معنى المجاورة وحكمها

والمجاورة الاعتكاف في المسجد، فأما المجاورة بمكّة والمدينة فيراد بها المقام مطلقا غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي.[1]

ويذكر الراغب الأصبهاني أنّ المجاورة من الجار وهو ما قرب مسكنه منك، قال تعالى:"لا يجاورونك فيها إلّا قليلا"[الأحزاب:60]، وهو من أسماء المضايفة، ولعظمة حق الجار عبر عن كل من يعظُم حقّه أو يستعظم حق جاره بالجار.[2]ويستشف من هذا المعنى أنّ مجاورة بيت الله الحرام هي القرب منه بالسكن بمقربة منه مع وجوب تعظيمه وتوقيره.

وقد اختلف العلماء في حكم المجاورة بمكة والمدينة فقال أبو حنيفة بكراهتها، وقال أحمد بن حنبل باستحبابها، وسبب من قال بالكراهة هو خوف الملل والوقوع في المحذورات وملابسة الذنوب، أمّا من أمن ذلك فمستحبّة له دلّ على ذلك الأحاديث، وقد جاور بمكّة خلق كثير لا يحصون من سلف اَلأمة كما صرح بذلك الإمام النووي.[3]

وما كره المجاورة من كرهها إلا مراعاة لحرمة الحرم وخوف فعل مالا يحل، فكما أنّ الأجر يضاعف فيه فإنّ الذنوب تعظم فيه أيضا لشرف المكان، ولذ روي أنّ ابن عباس اختار سكنى الطائف، وروي أنّ أبا عمرو الزجاجي الصوفي بقي أربعين سنة مجاورا بمكّة لم يقضِ حاجته في الحرم، بل كان يخرج إلى الحلّ عند قضاء الحاجة.[4]وكذلك كان يفعل الشنتجالي القرطبي من مالكية الأندلس الذي جاور بمكّة دَهرا.[5]

2.1 أسباب المجاورة وأنواعها

أ- ابتغاء الأجر بسكنى الحرم وملازمته:

وهو الأصل، لما في ذلك من الأجر الذي وردت به الأحاديث، منها الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول:"من صبر على لأوائها وشدّتها، كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة-يعني المدينة".قال القاضي عياض في شرحه على الحديث:"دليل على فضل سكنى المدينة، وأنّ ذلك محمول عندهم على استمرار هذا الفضل بعد وفاة النبي ﷺ وإلى يوم القيامة".[6]

ب- تسلية للنّفس من الهموم والأحزان:

ومنهم من دفعته صروف الدهر وعاديات الزمن إضافة إلى ابتغاء الأجر والعلم إلى المجاورة بمكة والمدينة تسلية لنفسه من الأحزان والهموم.يذكر ابن الخطيب في إحاطته أنّ محمد بن أحمد بن جبير الكناني الغرناطي صاحب الرحلة المشهورة رحل ثلاث مرات من الأندلس إلى المشرق وكان حج في كل واحدة منها وبعد موت زوجته عاتكة التي وجد عليها كثيرا فوصل مكّة وجاور بها كثيرا وكان يحدّث ويؤخذ عنه.[7]

ت- طلب العلم وتدريسه:

وهو أكثر ما يعنينا في بحثنا هذا وهو الدور العلمي والحضاري لمالكية المغرب المجاورين بمكة والمدينة، فعلماء المغرب الإسلامي منهم من كان يقصد الحرمين لطلب العلم فيجد من علماء بلده(المغرب الإسلامي نفسه)من يأخذ عنه، فالزبيدي محمد بن قطري النحوي الإشبيلي وهو من بيت الزبيديين المعروفين باشبيلية لما ورد مكّة كان من جملة من أخذ عنهم أحد علماء فاس المجاورين بمكّة وهو أبو محمد بن جماح السبتي.[8]

أما عن أنواع المجاورة فهي من حيث المفهوم الشرعي واحدة، ولكن يمكن تقسيمها من حيث مكان المجاورة وطول المدّة والملازمة إلى:مجاورة الحرم المكّي، مجاورة الحرم المدني، مجاورة المسجد الأقصى.أما من حيث مدّة المجاورة فهي نوعان:

أ- مجاورة دائمة حتى الوفاة:وهي أن يبقى المجاور ملازما للحرم بالسكنى والإقامة بجواره حتى وفاته

ب- مجاورة مؤقتة ومتقطّعة:وهي أن يجاور المجاور الحرم مدّة، ثم ينتقل عنه راجعا إلى بلده، ومنهم من يعود للمجاورة مرة أخرى على فترات متقطّعة، ومنهم من يكتفي بتلك المدّة ثم يعود إلى بلاده.

2. الدور العلمي لمالكية المغرب المجاورين

1.2 المجاورون المالكية والدور العلمي

أ- المجاورون وانتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي:

انتشر المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي بسبب عدّة عوامل، ولعل من بين أهم عوامل انتشاره الطبقة الأولى من علماء المغاربة الذين ارتحلوا إلى بلاد الحجاز للأخذ عن الإمام مالك يقول ابن خلدون:(وأما مالك -رحمه الله- فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم، إلاّ أنّهم لم يقلّدوا غيره إلاّ في القليل، لما أنّ رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار علم، ومنها خرجَ إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاتقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ الإمام مالك.)[9]

وكان لابدّ من طول المدّة ممّا يستلزم الإقامة والمجاورة للأخذ عن الإمام مالك، والإمام مالك نفسه كان مجاورا للحرم المدني، فهو لم يخرج من المدينة إلّا لمكّة حاجا.[10]، ومن هؤلاء المجاورين المغاربة يحي بن يحي الليثي راوي الموطّأ الذي ارتحل إلى المدينة في أواخر أيام الإمام مالك فسمع منه الموطّأ سوى باب الاعتكاف، شكّ في سماعها منه، فرواها عن زياد شبطون عن مالك، وسمع

من الليث بن سعد، وسفيان بن عيينة وسمع من عبد الله ابن وهب، وابن القاسم ولازمهما، ثم حج ورجع إلى المدينة ليزداد من الإمام مالك فوجده في مرض الموت، فحضر وفته وشهد الجنازة ثم قفل راجعا إلى قرطبة بعلم كثير، يقال أنّه حمل عن ابن القاسم عشرة كتب سؤالات.[11]

وكان المالكية المغاربة في رحلتهم للحج يلتقون بعلماء المالكية المجاورين بالحرم لأجل التفقّه، فالإمام البلوي يذكر أنّه لما وصل إلى مكّة شرفها الله كان يتتبع العلماء والمحدّثين ويستقري المجاورين منهم، وممّن التقاهم الفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عمر المكّي المالكي المشتهر بخليل.قال:"...وكنت ممّن استفاد في مناسك حجه تفقّها ومعاينة بين يديه، فانتفعت به أعظم الانتفاع، واستفدت بالالتزام له والاتّباع، وسمعت عليه وأجازني جميع ما يحمله ويرويه إجازة مطلقة تامة."[12]

ب- المجاورون وانتشار العقيدة الأشعرية بالمغرب الإسلامي:

كان لعلماء المغرب المجاورين دور هام في نقل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب والأندلس، ذلك أنّ المذهب المالكي غالبا ما كان يمشي جنبا إلى جنب مع العقيدة الأشعرية يظهر ذلك جليا في التراث الفقهي المالكي كرسالة ابن أبي زيد ومتن ابن عاشر، ولا أدلّ على ذلك ما دأب عليه المؤلفون المالكية من تخصيص كتاب الجامع في كل مؤلف فقهي يحوي جملة من مسائل الاعتقادات.

هذا وتنقل لنا كتب التراجم أنّ من أوائل من نقلوا العقيدة الأشعرية إلى المغرب إنّما نقلوها عن أبي ذر الهروي، وأبو ذر الهروي من كبار علماء المالكية بهراة وهو من رواة صحيح البخاري عن:المستملي والحموي والكشميهني، وهو أحد المجاورين بمكّة، كان على مذهب الإمام مالك ومذهب الأشعري أخذه عن إمام وقته في علم الكلام القاضي أبو بكر الباقلاني، وذكر الذهبي أنّ الهروي بثّ مذهب الأشاعرة بمكّة وحمله المغاربة أول ما حملوه عنه وأدخلوه إلى المغرب والأتندلس وكانوا قبل ذلك لا يشتغلون بعلم الكلام بل بالفقه أوالعربية أو الحديث فقط.[13]

ولسنا هنا بصدد التأريخ للأشعرية في بلاد المغرب وذكر أوائل حامليها إلى بلاد المغرب كدراس بن اسماعيل الفاسي(ت357هـ)، وأبي عمران الفاسي(ت403هـ)تلميذ أبي بكر الباقلاني[14] فذلك كلام يطول ولا تسعه هذه الوريقات، وذكر أنّ الهروي المالكي المجاور هو من نقل عنه المغاربة أول ما نقلوا الأشعرية إلى المغرب يكفينا، وحسَبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

ت- المجاورون والقراءات:

ساهم علماء المغرب الإسلامي المجاورون في نشر علم القراءات فممن سكن مكّة وجاور بها من علماء القراءات وأخذ عن العلماء المجاورين بها ابن البنّاء علي بن أبي القاسم بن محمد المهدوي أخذ بها عن أبي معشر الطبري المقرئ، وقد بعث للقاضي عياض السبتي بإجازة جميع روايته من ذلك الجامع الكبير في القرءات وكتاب التلخيص في القراءات لأبي معشر حدّثه بهما عن مؤلفهما.[15]

ولعل من أكبر علماء القراءات المجاورين بمكّة يحي بن أحمد بن صفوان القيني الأندلسي المالقي، وكان إماما عالما عارفا بالقراءات كما وصفه تقي الدّين الفاسي والذي ذكر أنّه سمع منه.[16]

ث- المجاورون ورواية الحديث وعلومه:

ساهم علماء المغرب الإسلامي في نشر الحديث وعلومه رواية ودراية عن طريق الاستجازة والإجازة، فكان المجاورون من المالكية بمكّة والمدينة يستجيزون رواة الحديث وهو بدورهم يجيزون من يستجيزونهم ويحدّثونهم من أهل المغرب والأندلس أو من أهل المشرق.

فابن الأبار يذكر أنّ محمد بن علي بن أحمد بن محمود الوراق من أهل الأندلس جاور بمكّة كثيرا وسمع من أبي العباس أحمد بن الحسن الرازي، وأبي ذر الهروي وهو من رواة صحيح البخاري عن:المستملي والحموي والكشميهني، قد كتب محمد الوراق نسخا عديدة من صحيح البخاري تداولها النّاس.وممن حدّث عنه من أهل الأندلس أبو عمر بن مغيث، وأبو محمد الشنتجالي، والعلّامة أبو الوليد الباجي.[17]

ومن المالكية المجاورين بمكّة حتى الوفاة والذين أخذوا الحديث عن الإمام الهروي أيضا محمد بن وليد بن عقيل العكّي(توفي قبل 452هـ)من أهل مالقة، ومحمد بن خميس القرطبي، وممّن حدّث عنهما من المغاربة أبو مروان الطّبني، وأبو بكر جماهر بن عبد الرحمان.[18]

ومن المحدّثين المجاورين دهرا بمكّة الذين رووا صحيح مسلم عن الهروي وحدّثوا به في قرطبة أبو محمد الشنتجالي الذي حج سنة 391هـ وعاد إلى بلده سنة 431هـ.[19]

ويلاحظ أنّ تكرار المجاورة مع العودة إلى بلاد المغرب كان له دور كبير في نشر العلوم، ذلك أنّ الكثيرين من النّاس لم تكن لهم القدرة المالية أو البدنية على السفر للحج ولقاء المشيخة، فكانت عودة أمثال العالم الشنجالي فرصة لمن رغب في العلم وعجز عن الرحلة.

ج- المجاورون والتصوف:

اشتهر المتصوفة أكثر من غيرهم بمجاورة بيت الله الحرام، ولعل من بين أهم المجاورين من علماء المغرب الإسلامي ابن سبعين عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكّي المرسي، انتقل إلى سبتة وانتحل التصوف وكثر أتباعه من الفقراء الذين يصفهم ابن الخطيب بأنهم ارتسموا في نحلة التصوف من غير تحصيل لها.[20]

ولسنا بصدد ذكر فكر ابن سبعين ولا مناقشة أقوال الفقهاء فيه فذلك شأن آخر إذ إنّ ابن الخطيب يذكر أنّ النّاس اختلفوا في ابن سبعين ما بين موهن مكفّر ومقلّد معظّم، وقد كثر عليه التأويل من الفقهاء.[21] بل ما يهمنا هنا مجاورته لبيت الله الحرام ومدى تأثير طريقته في التصوف، فالغبريني يذكر أنّه كان من المجاورين وأنّ أصحاب مكّة كانوا يهتدون بأفعاله، ويعتمدون على مقاله.[22]

ومن علماء ومتصوفة المغرب الأوسط(الجزائر) الشيخ الولي الصالح أبو محمد عبد الله البسكري الذي كان من بيت نسب ومال، فتجرد من ذلك كلّه وخرج من بلده فجاور المدينةوأقام بالمدرسة الشهابية، ثم برباط دكالة مع جماعة من المغاربة، ومال إليهم النّاس لما توسّموا فيهم من الخير وعلا ذكرهم في البلد، وعرف البسكري بكرامات نقلها أصحاب التراجم، .[23]

وأبو محمد عبد الله البسكري هو صاحب القصيدة المشهورة:

دارُ الحبيبِ أحقُّ أن تهواها وتحنّ من طربٍ إلى ذكراها[24]

2.2 المجاورون والدور الحضاري والاجتماعي

لم يقتصر دور مالكية المغرب الإسلامي على تحصيل العلم وتدريسه فحسب، بل تولّى منهم الكثير من الوظائف فكان منهم من يتداولون على مقام المالكية في الحرم الشريف، وشغل وظيفة المؤدب مثل يوسف بن عيسى بن عياش التجيبي الأندلسي(ت 794هـ)، والذي جاور بمكّة سنين كثيرة كان مؤدبا بالمسجد الحرام أدب جماعة من أولاد أعيان الحرم.[25]

ومنهم من تولّى القضاء والإمامة كيحي بن محمد بن أحمد بن فتوح بن نصر بن سليمان ابن المرحل الأنصاري الأندلسي الذي تولّى قضاء الطائف وكان خطيب مشهد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.[26]

لم يكن مالكية المغرب الإسلامي المجاورون معزولون عن الحياة العامة والمجتمع بل عاشوا مع مجتمع مكّة والمدينة أفراحهم وقاسموهم همومهم، وكان لهم دور كبير في المجتمع، فابن فرحون المالكي يذكر أنّ الشيخ عز الدّين أبو العباس بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني كان صائم النّهار وقائم اللّيل، وكان يتفقّد الفقراء في بيوتهم، ويعالج المرضى ويطوف عليهم في بيوتهم بالدواء والطعام، بل ويصنع لهم ما يشتهونه من الطعام.[27]

وكان الشيخ أبو محمد البسكري مبسوط اليد لا يرد سائلا ولا يدّخر شيئا فكان يطعم الفقراء ويضيف الغرباء والمساكين، وكان مع هذا كلّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مهيبا عند النّاس.[28]

وابن الفخار محمد بن عمر بن يوسف المالكي الحافظ القرطبي جاور ببيت المقدس ثمّ جاور بمكّة، وكان يسقي الماء للناس.[29]

كما كان لمالكية المغرب الأوسط(الجزائر) الصيت الذائع في علوم الطّب، ومن هؤلاء الأطّباء من كان مجاورا ببيت الله الحرام، يعلّم الطّب ويداوي النّاس كالطبيب أبي عثمان الحكيم الزواوي

الملياني(ت670هـ) المعروف بان أساطير، كان عالما بعلوم الحكمة(ومنها الطّب) كما كان عالما بالفقه وأصول الدّين والتصوف.[30]

ويذكر تقي الدّين الفاسي أنّ أبا عثمان الحكيم كان قد بلغ النهاية في علم الطّب في زمانه، دلّ على ذلك ما يتناقله أهل مكّة من حكايات عجيبة عنه في الطّب.[31]

الخاتمة :

ساهمت المجاورة في نشر العلم حيث كانت مكّة والمدينة حاضنة للعلماء والفقهاء يجاورون بهما فيقصدهما المجيز والمستجيز فكثرت بذلك الأمالي والسماعات واستنسخت الكتب ليصل العلم إلى الأقطار البعيدة.

والمجاورة كما رأينا من خلال كتب التراجم نوعان: دوام المجاورة حتى الوفاة، والمجاورة المتقطّعة بالجوار ثم العودة إلى الأهل والوطن، وكان من فوائد المجاورة الثانية تبليغ العلوم للكثيرين من النّاس الذين لم تكن لهم القدرة المالية أو البدنية على السفر للحج ولقاء المشيخة، فكانت عودة المجاورين فرصة لمن رغب في العلم وعجز عن الرحلة.

ساهمت المجاورة في لقاء مشيخة المغرب والأندلس بمشيخة المشرق على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، فظهرت المناظرات، وتلاقحت الأفكار، وكانت بمثابة ملتقيات دولية في ذلك الزمن يستفيد منها العلماء فيما بينهم والطلّاب.

كما أنّ المجاورة ساهمت كثيرا في التقاء مالكية المغرب بمالكية المشرق، ممّا ساهم في حفظ مالكية المغرب لمؤلفات مالكية المشرق، والتي لولا المغاربة لما عرفها أهل المشرق أنفسهم فهذا الإمام الذهبي على مشرقيته وعلو كعبه قال عند ذكر مؤلفات الهروي المالكي أنّه لم ير هذه المؤلفات بل سماها القاضي عياض وعنه نقلها الإمام الذهبي.[32]

لم يقتصر عمل مالكية المغرب الاسلامي المجاورين على ملازمة الحرم بالتنسك والعبادة والعلم فقط، بل اندمج المجاورون في المجتمع المكّي والمدني، فتولّوا وظائف كالإمامة والقضاء، وكانت لهم

مساهمات في العمل التطوّعي كخدمة زوّار بيت الله الحرام والسّقاية، وإطعام الجائع وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المراجع:

1. ابن بشكوال:الصلة، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط01، 1989م.
2. البلوي:تاج المفرق، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د ط، دت.
3. الحجوي الفاسي:الفكر السامي، مطبعة إدارة المعارف، الرباط، المطبعة البلدية بفاس، د ط، 1375هـ.
4. ابن الخطيب:الإحاطة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01، 1977م.
5. ابن خلدون:المقدمة، دار يعرب، دمشق، ط01، 2004م.
6. الذهبي:سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1985م.
7. الفاسي:العقد الثمين، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، د ط، 1962م.
8. ابن فرحون:نصيحة المشاور وتعزية المجاور، دار الأرقم، بيروت، د ط، د ت.
9. القاضي عياض:إكمال المعلم، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط01، 1998م.
10. الغنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1982م.
11. الغبريني:عنوان الدّراية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، د ت.
12. ابن منظور:لسان العرب، دار المعارف، مصر، د ط، د ت، مادة ج و ر.
13. النووي:المنهاج شرح صحيح مسلم، طبعة حجرية، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ط01، 1929م.

14.النهرواني:الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، المكتبة التجارية، مكّة، 1416هـ/1996م.

15.النباهي:المرقبة العليا، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط05، 1983م.

الهوامش:

[1] لسان العرب ، مادة ج و ر، ج01، ص:724

[2] مادة جار، ص:103

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم، ج09، ص:151و152

[4] الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص:52

[5] العقد الثمين، ج05، ص:170

[6] إكمال المعلم، ج04، ص:498

[7] الإحاطة، ج02، ص:231و232

[8] الغنية، ص:76و77

[9] المقدمة، ج02، ص:190و191

[10] الفكر السامي، ج02، ص:161

[11] سير أعلام النبلاء، ج10، ص:518

[12] تاج المفرق، ج01، ص:313و314

[13] سير أعلام النبلاء، ج17، ص:557

[14] ذكر النباهي أنّ أبا عمران الفاسي رحل إلى العراق ولازم أبا بكر الباقلاني المتكلّم على طريقة أهل الحديث ومذهب الأشعرية، وأخذ عنه، وكان أعرف النّاس بعلم الكلام.المرقبة العليا، ص:37

[15] الغنية، ص:183

[16] العقد الثمين، ج07، ص:427-429

[17] الصلة، دار الكتاب المصري ، ج03، ص:785

[18] المصدر نفسه، ج03، ص:788و793

[19] الفاسي:العقد الثمين، ج05، ص:170

[20] ابن الخطيب:الإحاطة، ج04، ص:31و32

[21] المصدر نفسه، ج04، ص:33و34

[22] عنوان الدّراية، ط02، د ت، ص:238

[23] نصيحة المشاور وتعزية المجاور، ص:59 وما بعدها

[24] المصدر نفسه، ص:64

[25] العقد الثمين، ج07، ص:490

[26] المصدر نفسه، ج07، ص:446

[27] نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، ص:71

[28] المصدر نفسه، ص:60 وما بعدها

[29] الصلة، ج02، ص:747

[30] ترجمته في عنوان الدراية، ص:227و228

[31] العقد الثمين، ج04، ص:583

[32] سير أعلام النبلاء، ج17، ص:560